خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٥/١١/١٤

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

ذُكرت في الخطب السابقة غزوات النبي ﷺ وجوانب سيرته فيها. وفي هذا السياق كنا بصدد تفاصيل غزوة تبوك. وبقية تفاصيلها كما يلي:

لقد ورد فيها أن امرأة في هذه المناسبة أظهرت إخلاصًا وحماسًا كبيرين. وقد عُبِّر عن ذلك بأنه لم تتردد النساء أيضًا في تقديم أي نوع من التضحيات بأي طريقة كانت. كنّ في طليعة التضحيات المالية أيضًا، حيث خلعن مجوهراتهن وقدّمنها للنبي ﷺ. كذلك حفظت كتب التاريخ حادثة عن التضحية العاطفية أيضا، وذكرها المصلح الموعود رضي الله عنه قائلاً:

بما أن الجيش كان سيتوجه نحو الشام، ولم يكن المسلمون قد نسوا ما حدث وما عانوه في مؤتة، وكان القلق على سلامة الرسول ﷺ يملأ قلب كل مسلم. وكانت النساء أيضا يشعرن بهذا الخطر فحثثن رجالهن والأبناء لينخرطوا في المعركة وشغلن بهذا التحريض. ويمكن تقدير الوضع من حادث عودة أحد الصحابة إلى المدينة من سفره بعد أن كان الرسول ﷺ قد غادرها مع جيشه، وبعد فراق طويل، ولما دخل الرجل إلى بيته كان يتوقع أن يلقى زوجته ويفرح بها، فرأى زوجته في الفناء فتحرك نحوها ليتودد إليها، ولكن ما أن اقترب منها حتى رفعت يديها ودفعته عنها. نظر الزوج المشدوه إلى زوجه وسألها عن سبب هذه المعاملة التي لقيها عند عودته بعد غياب طويل، فقالت: "ألا تخجل أن يكون رسول الله في حملة خطيرة وأنت تتودد هنا إلى زوجتك؟ عليك أن تؤدي واجبك أولاً، ثم ننظر بعد ذلك إلى ما يجب". ويُروَى أن الصحابي خرج من بيته في الحال ليشد رحله ويلتحق بالرسول ﷺ مسرعًا، فأدركه على مسيرة ثلاثة أيام.

لقد ذكر حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه هذه الواقعة في مكان آخر، فما ذُكر قبل قليل ورد في مقدمة تفسير القرآن ثم ذكره ثانية في خطابه بمناسبة اجتماع خدام الأحمدية فقال:

ذات مرة، أرسل رسول الله ﷺ صحابيًا في مهمة خارجية. ثم وقعت غزوة تبوك. كانت هذه الغزوة شديدة الخطورة. فحكومة الروم في ذلك الوقت كانت قوية تمامًا كما هي اليوم حكومتا أمريكا وروسيا. اضطر رسول الله ﷺ أن يخرج بجيش صغير لمواجهة حكومة عظيمة كهذه. كان المسلمون في المدينة قلة قليلة، والناس المحيطون بهم لم يكونوا مجتمعين، وحتى لو اجتمعوا لما كان لهم أي وزن أمام قيصر الروم. لذلك أمر رسول الله ﷺ أن يخرج الجميع إلى الجهاد. فلما انطلق الجيش الإسلامي، عاد ذلك الصحابي الذي أرسله رسول الله ﷺ في مهمة خارجية. كان شابًا، متزوجًا حديثًا. وبعد فراق طويل، دخل بيته فرأى زوجته جالسة في فناء البيت، فتوجه إليها مباشرة ورغب في احتضانها، لكن الزوجة بدلًا من أن تبادله الحب، ضربت صدره بقوة ودفعته إلى الخلف وقالت: رسول الله ﷺ في ميدان القتال، وأنت تفكر في حب زوجتك؟ والله! لن أرى وجهك حتى يعود محمد رسول الله ﷺ سالمًا. خرج الصحابي في الحال من البيت، وانضم إلى الجيش الإسلامي على مسيرة ثلاث أيام من المدينة، ثم لم يعد إلى بيته إلا عندما عاد رسول الله ﷺ مع بقية الصحابة إلى المدينة.

هؤلاء هم الذين كانوا في كل موقف خطير يُلقون بأنفسهم في الخطر دون تردد. لم يصبهم ألم أو حزن – احتسبوه ألمًا وحزنًا– إلا وقدموا أرواحهم بكل سرور كلما سنحت لهم فرصة للخدمة.

على أية حال، ورد في تفاصيل هذه الغزوة أيضا أن النبي ﷺ وصل مع صحابته إلى تبوك بعد أن توقف في خمسة عشر موقعًا أو تسعة عشر موقعًا حسب بعض الروايات. لا توجد تفاصيل عن الأماكن التي توقف فيها النبي ﷺ خلال هذا السفر، لكن لاحقًا بُنيت في تلك المواقع مساجد سُميت بأسماء تلك الأماكن، فاستدل المؤرخون من ذلك أن النبي ﷺ قد أقام فيها. وتتراوح أسماء هذه المواقع في الكتب بين ١٥ و٢٢ موقعًا. وفي سيرة ابن إسحاق وابن هشام، ذُكر بناء مساجد في ١٧ موقعًا، وهي كالتالي:

١: ذُوْخُشُبْ، ٢: الفَيْفَاءْ، ٣: ذُوالْمَرْوة، ٤: رُقْعة، ٥: وَادِى الْقُرٰى، ٦: الصَعِيْد ، ٧: الحِجْر، ٨: صَدْر حَوْضٰى، ٩: ذُوالْجَيْفَة ، ١٠ : شِقّ تَارَا ، ١١: اَلْبَتْرَا، ١٢: اَلَاء، ١٣: ذَاتُ الْخِطْمِيْ، ١٤: الأَخْضَرْ، ١٥: ذَاتُ الزَّرْب، ١٦: ثَنِيّةُ مِدْرَانْ، ١٧: تَبُوْك.

ورد في إحدى الروايات عن عقبة بن عامر قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فاسترقد رسول الله ﷺ ليلا، وكان السفر طويلا فغلبه التعب، فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح، قال ﷺ: "ألم أقل لك يا بلال أن تنتظر لنا على الفجر؟" أي أن تبقى ساهرًا وتوقظنا على الفجر، فقال يا رسول الله ذهب بي من النوم مثل الذي ذهب بك، قال: فأمر رسول الله ﷺ الجيش بالرحيل، ثم نزل من راحلته بعد مسافة قصيرة وصلى ركعتي السنة وصلى بالصحابة، ثم سار بقية يومه وليلته حتى أصبح بتبوك صباح اليوم التالي.

لم يُذكر في الرواية عن الصلوات إلا أنه خلال هذا السفر لابد أن يكون قد توقف من أجل أداء الصلوات في وقتها.

وبعد الوصول إلى هناك خاطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "أيها الناس، إن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العُرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وخير السنن سنة محمد ﷺ، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوازمها وشر الأمور محدثاتها، وأحسن الهدى هدى الأنبياء وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع، وخير الهدى ما اتُّبع، وشر العمى عمى القلب، (وليس عماية العيون بل عماية القلب حيث لا يفقه الإنسان كلام الله) واليد العليا خير من اليد السفلى، وما قلَّ وكفى خير مما كثُر وألهى، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة يوم القيامة، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دبرًا. ومن الناس من لا يذكر الله إلا هجرا. (أي أنه ﷺ لم يرض بالذين لا يداومون على الصلاة ويحضرونها متأخرين، فقال إن ذلك مكروه جدا)، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله عزوجل، وخير الحديث ما يوقر اليقين في القلوب، والارتياب من الكفر، والنياحة من عمل الجاهلية، والغُلول[1] من حثاء جهنم، والشعر (الخبيث) من إبليس، والخمر جماع الإثم، والنساء حبائل الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، وشر المكاسب كسب الربا، وشر المآكل أكل مال اليتيم، والسعيد من وُعظ بغيره، والشقي من شقي في بطن أمه، وأنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع (أي يموت في نهاية المطاف ويدخل القبر) والأمر إلى الآخرة، وملاك العمل خواتمه، وشر الروايا روايا الكذب، وكل ما هو آت قريب، وسباب المؤمن فسوق، وقتال المؤمن كفر، وأكل لحمه من معصية الله، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يتألى على الله[2] يكذبه، ومن يستغفره يغفر له، ومن يعف (عن أخيه) يعف الله عنه. ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله، ومن يبتغ السُّمْعَة يُسَمِّع الله به[3]، ومن يصبر يُضعَّفْ الله له، ومن يعص الله يعذبه الله. (ثم قال): :اللهم اغفر لي ولأمتي، اللهم اغفر لي ولأمتي، اللهم اغفر لي ولأمتي"، قالها ثلاثا ثم قال: "أستغفر الله لي ولكم."

في أثناء السفر إلى تبوك وجه إلى الصحابة بعض النصائح أيضا، فوعظ الصحابة فرادى أو جماعة عدة مرات وأذكر هنا بعضها.

عن أبي سعيد الخدري أنه قال: إن رسول الله ﷺ عام تبوك خطب الناس وهو مسند ظهره إلى دابته فقال: "ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس، إن من خير الناس رجلا عمل في سبيل الله على ظهر

---

[1] الغلول: الخيانة والسرقة.

[2] يتألى: يقسم ويحلف أنه يقول حقا وهو ليس كذلك.

[3] أي من يُرائي ويحب إِظْهار نفسه يشهره الله بالرياء ويفضحه.

فرسه، أو على ظهر بعيره، أو على قدميه حتى يأتيه الموت، وإن من شر الناس رجلا فاجرا جريئا يقرأ كتاب الله لا يَرْعَوِي[٤] إلى شئ منه."

فانظروا أن الكثيرين اليوم يدَّعون قراءة القرآن الكريم لكنهم لا يعملون به.

حدَّث ابنُ عَبَّاسٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ تَبُوكَ فَقَالَ مَا فِي النَّاسِ مِثْلُ رَجُلٍ أَخَذَ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فَيُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيَجْتَنِبُ شُرُورَ النَّاسِ، وَمِثْلُ رَجُلٍ بَادٍ فِي غَنَمِهِ يَقْرِي ضَيْفَهُ (يطعمه ويكرمه) وَيُؤَدِّي حَقَّهُ.

بهذه المناسبة ذُكر إرسال النبي ﷺ دعوة الإسلام إلى هرقل أيضا، فحين وصل رسول الله ﷺ إلى تبوك كان هرقل أي قيصر الروم بحمص، فقال ﷺ: "من ذهب بكتابي هذا إلى قيصر فله الجنة؟". فقال رجل: وإن لم يقبل؟ قال ﷺ: "احمله إليه وإن لم يقبل". فانطلق الرجل فأتاه بالكتاب وسلَّمه له، فقرأه فقال: اذهبْ إلى نبيكم فأخبرْه أني متبعه، ولكن لا أريد أن أترك مملكتي، وبعث إلى رسول الله ﷺ دنانير أيضا، فرجع فأخبره ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: "كذَب، ولم يصدق"، ثم قسم الدنانير.

كان دِحْيَةُ الكلبيُّ ﷺ قد أخذ هذا الكتاب إلى هرقل. وهو غير الرسالة التي أرسلها رسول الله ﷺ إليه عن طريق دِحْيَةَ ﷺ في آخر سنة ٦ هـ، والتي تسلّمها هرقل في محرم سنة ٧ هـ.

أعرب الإمام ابن حجر عن رأي، مستندًا إلى روايات كتب المغازي والسيرة، أن رسول الله ﷺ كتب رسائل ثانية إلى قيصر وغيره أثناء وجوده في تبوك. (فتح الباري)

ويؤيد هذا الرأي ما ورد في الرسائل التي نُشرت في صورة كتاب عام ١٩٤١م بعنوان "مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة" للدكتور حميد الله، ويحتوي على الوثائق التاريخية والسياسية من عصر النبي ﷺ إلى عهد الخلفاء الراشدين، ونُشر لأول مرة في مصر عام ١٩٤١م وحسب هذا الكتاب، أُرسلت رسالتان إلى قيصر الروم.

كتب ﷺ في الرسالة الأولى ألا يمنع رعيته من اعتناق الإسلام، وإلا فإن إثم رعيته سيقع عليه، وكانت قد أُرسلت في آخر سنة ٦ هـ عن طريق دِحْيَة الكلبيّ.

بينما ورد في الرسالة الثانية دعوته إلى الإسلام، وإلا ففي حال الرفض يجب دفع الجزية، أرسل النبي ﷺ هذه الرسالة الثانية أيضًا عن طريق دِحْيَة أثناء غزوة تبوك.

نجد في التاريخ ذكر مصالحة أهل أيلة أيضا، وقد ورد في تفصيل ذلك أن النبي ﷺ حين وصل إلى تبوك فزع الحكامُ النصارى المجاورين، فقد ألقى الله في قلوبهم الرعب، فالذين كانوا يتآمرون على المسلمين قبل فترة قصيرة، أصبحوا الآن يخشون على بقائهم، فحضروا النبيَّ ﷺ يطلبون الصلح.

---

[٤] الارعواء : النَّدم على الشيء والانْصِرَاف عنه وتَرْكه.

وكان أوّل من جاء منهم النبي ﷺ حاكِم أَيلةَ (وأيلةُ مدينة صغيرة على ساحل البحر الأحمر، قريبة من الشام، على آخر حدود الحجاز وأوائل أرض الشام). كان رسول الله ﷺ في تبوك حين جاءه يُحَنَّةُ بنُ رُؤْبَةَ حاكِمُ أيلةَ ، ووفودُ من أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر، وأهلِ جَرْبَاءَ، وأَذْرُحَ، طالبين المصالحة. فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاب أمان ورد فيه:

"بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ. هَذِهِ أَمَنَةٌ مِن اللهِ وَمُحَمّدٍ النّبِيّ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيُحَنّةَ بْنِ رُؤْبَةَ وَأَهْلِ أَيْلَةَ، سُفُنُهُمْ وَسَيّارَتُهُمْ فِي الْبَرّ وَالْبَحْرِ لَهُمْ ذِمّةُ اللهِ وَذِمّةُ مُحَمّدٍ النّبِيّ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشّامِ، وَأَهْلِ الْيَمَنِ، وَأَهْلِ الْبَحْرِ، فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا فَإِنّهُ لَا يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ، وَإِنّهُ طَيّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِن النّاسِ، وَإِنّهُ لَا يَحِلُّ أَنْ يُمْنَعوا مَاءً يَرِدُونَهُ، وَلَا طَرِيقًا يُرِيدُونَهُ مِنْ بَرّ أَوْ بَحْرٍ".

وبأمرٍ مِن رسول الله ﷺ كتبَ جُهَيْمُ بنُ الصَلْتِ وشُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَةَ رضي الله عنهما هذا الأمانَ لأهلِ أيلةَ ويُحَنَّةَ بنِ رُؤْبَةَ.

أهدى يُحَنَّةُ رسول الله ﷺ بغلةً بيضاء ورداءً. وألبسه النبي ﷺ بُرْدةً يمنيةً، وأمرَ بلالاً ﷺ أن يسكنه معه.

كما عُقدت معاهدة الصلح مع أهل مَقْنَا أيضا. كان أهلُ مَقْنَا يهودًا، وكانت قريتهم تقع على ساحل البحر قربَ أيلةَ. حضر هؤلاء أيضًا إلى رسول الله ﷺ، فكتب لهم أمانًا أَنَّهُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ وَأَمَانِ مُحَمَّدٍ (ﷺ)، وَأَنَّ عَلَيْهِمْ (كجزيةٍ) رُبْعَ غُزُولِهِمْ (أي ما يصنعونه مِن الغزل والثياب) وَرُبْعَ ثِمَارِهِمْ.

كذلك نجد ذكر كتاب أمان لأهل جَرْبَاءَ وأَذْرُحَ، وهما مدينتان في بلاد الشام بمنطقة البلقاء، متقاربتان جدًّا، بينهما ثلاثة أميال، وقيل أقل من ميل. وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاب أمان، وهو: "هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ لِأَهْلِ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ: أَنَّهُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ وَأَمَانِ مُحَمَّدٍ، وَأَنَّ عَلَيْهِمْ مِائَةَ دِينَارٍ فِي كُلِّ رَجَبٍ وَافِيَةً طَيِّبَةً، وَاللَّهُ كَفِيلٌ عَلَيْهِم".

ونجد في سياق الحديث عن غزوة تبوك ذِكْرَ سريّةٍ تسمى سريّةَ خالدِ بنِ الوليد ﷺ بطرف أُكَيْدَرِ ابنِ عبد الملِك. بعث النبي ﷺ وهو في تبوك خالدَ بنَ الوليد ﷺ على رأس ٤٢٠ فارسًا إلى أُكَيْدِر بن عبد الملِك في دَومةِ الجَنْدلِ وذلك في رجب سنة ٩ هـ. (ودَومةُ الجَنْدَلِ قرية وحصن بين الشام والمدينة، تبعد عن المدينة المنورة على مسافة تتراوح ما بين ١٥ أو ١٦ يومًا، وتبعد عن تبوك حوالي 400 كم).

كان أُكَيْدِرٌ من بني كِنْدة، وكان مَلِكَهم، وكان نصرانيًا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِخَالِدٍ إنّك سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ ليلاً، فخُذْه. (أي أن الله تعالى قد أرى النبي ﷺ هذا المشهد، فقال لخالد ستهاجِمه وهو يصيد البقر فتأسره). ثم قال ﷺ: "سيفتح الله عليكم دومةَ. إنْ ظفِرتَ به فلا تقتله، واحملْه إليّ. وإن امتنعَ وقاتَلَ فاقتله".

وورد عن مسير خالد بن الوليد ﷺ إلى أُكيدر ما يلي: خرج خالد ﷺ إلى أُكيدرٍ حَتّى إذَا كَانَ مِنْ حِصْنِهِ بِمَنْظَرِ الْعَيْنِ وَفِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ صَائِفَةٍ وَهُوَ عَلَى سَطْحٍ لَهُ معَ امْرَأَتِهِ الربابِ بنتِ أُنيفٍ الكِنْديّةِ، فَجاءت بَقَرةٌ

وأخذت تَحُكّ بِقُرُونِهَا بَابَ الْحصنِ، فَقَالَتْ امْرَأَةُ أكيدر هَلْ رَأَيْت مِثْلَ هَذَا قَطّ؟ قَالَ لَا وَاَللهِ. قَالَتْ فَمَنْ يَتْرُكُ هَذِهِ؟ فقَال الملك لَا أَحَدَ، وقال سأصيدها وآتي بها حالاً. ثم نزل وأمَر مِن معه بركوب الخيل. فركب معه نفرٌ من أهل بيته وفيهم أخ له اسمه حُسّانُ. فركب معهم لمطاردة البقر. وبينما هم يطاردون صيدهم بلا هوادة تَلقّتْهم خيلُ خالد فجأةً، فاستأسروهم. فوقع أُكيدرٌ في الأسر، وامتنعَ حُسّانُ وقاتلَ فقُتل.

وكانَ عَلَى رَأْسِ حُسّانَ دِيبَاجٌ (أَيْ ثَوْبٌ حَرِيرِيٌّ غَلِيظٌ) فِيهِ خُيُوطٌ مِنْ ذَهَبٍ. فَأَرْسَلَ خَالِدٌ ذلك القباء إِلَى النبي ﷺ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِأُكَيْدِر.

وجاء في تفاصيل ذلك أنه بعد أنْ أُسر أُكيدرٌ وقُتل أخوه حُسّانُ قال له خالد ﷺ: هل لك أن أجيرك من القتل حتى آتي بك رسول الله ﷺ على أن تفتح لي دومةَ؟ فقال أكيدر: نعمْ. فانطلق به خالد حتى اقترب من الحصن، فنادى أُكيدرٌ أهلَه أنِ افتَحوا باب الحصن. فأبى عليهم مُضّادٌ أخو أُكيدر، فقال أكيدرٌ لخالد: تعلم واللهِ أنهم لا يفتحون لي لما رأوني في وثاقك، فخَلِّ عني فَلَكَ اللهُ والأمانةُ أن أفتَحَ لك الحصن إن أنت صالحتَني على أهلي. قال خالد: فإني أصالحك. فقال أكيدر: ان شئتَ حكّمتُك وإن شئتَ حكّمتَني؟ قال خالد ﷺ: بل نقبل منك ما أعطيتَ. فخلى خالدٌ ﷺ سبيله، ففتح باب الحصن، فدخله خالدٌ وأوثق مضادًا أخا أكيدر، وأخذ ما صالح عليه من الأشياء.

غَنِمَ الْمُسْلِمُونَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ أَلْفَيْن من الإبل، وَثَمَانِيَ مِائَةِ من العبيد، وَأَرْبَعِ مِائَةِ من الدروع، وَأَرْبَعِ مِائَةِ من الرماح. فَفُصِلَ مِنْ هَذَه الْغَنِيمَةِ الْخُمْسُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، ثُمَّ قُسِمَ الْبَاقِي بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَهُمْ.

ونجد ذكر حضور أُكيدرٍ وأخيه إلى النبي ﷺ كالآتي:

يَرْوِي جَابِرٌ ﷺ: "لَمَّا قَدِمَ خَالِدٌ ﷺ بِأُكَيْدِرْ رَأَيْتُهُ عَلَيْهِ صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ وَثِيَابٌ حَرِيرِيَّةٌ. فَلَمَّا زَارَ النبي ﷺ خَرَّ سَاجِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَرَّتَيْنِ: "لَا، لَا". فَقَدَّمَ لَهُ هَدَايَا فِيهَا ثَوْبُ زِينَةٍ وَبَغْلَةٌ. وَصَالَحَهُ عَلَى الْجِزْيَةِ. وَقَالَ ابْنُ أَثِيرٍ: كَانَتْ جِزْيَتُهُ ثَلَاثَ مِائَةِ دِينَارٍ. وَعَفَا عَنْ دَمِهِ وَدَمِ أَخِيهِ وَأَطْلَقَهُمَا. وَكَتَبَ لَهُمْ كِتَابَ أَمَانٍ، وَكَتَبَ الشُّرُوطَ الَّتِي صَالَحَ عَلَيْهَا.

وقد جاء في كتاب الأمان: "هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ مع خالد إلى أُكَيْدِر الذي أسلم وقطع علاقته مع الأوثان. (فبسبب إسلامه فارق الأوثان) هذه الأحكام لدومة الجندل وللناس ما حولها. لنا الأرض غير الصالحة للزراعة وهي الأرض المجهولة والأرض الموات والسلاح والإبل والحصون. ولكم نخل داخل القرية والأرض المعمورة ذات العيون. (أي هذه الأشياء ستكون للمسلمين، أما ما كان داخل المدينة مثل النخل والأرض ذات العيون) والمواشي فلا تُعَدُّ. لا تُمنعون من رعي ماشيتكم. تقيمون الصلاة في وقتها. وتؤدون الزكاة كاملة. هذا عهد الله معكم. عليكم بالصدق والوفاء والله وكل مسلم شاهد على ذلك".

فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ذُكِرَت وَفَاة صحابي وَدَفْنه: فَلَمَّا رَآهُ بَعْضُ كِبَارِ الصَّحَابَةِ تَمَنَّوْا لَوْ كَانُوا هُمْ فِي مَكَانِ الْمَدْفُونِ. فيَرْوِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَقُمْتُ لَيْلَةً فِي نِصْفِ اللَّيْلِ فَرَأَيْتُ نُورًا مِنْ نَارٍ فِي جَانِبٍ مِنَ الْعَسْكَرِ، فَذَهَبْتُ لِأَنْظُرَ مَا هُوَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ ذُو الْبِجَادَيْنِ الْمُزَنِيُّ ﷺ قَدْ تُوُفِّيَ، وَقَدْ حَفَرُوا لَهُ قَبْرَهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي اللَّحْدِ، وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يُنَاوِلَانِهِ الْمَيِّتَ، وَهُوَ يَقُولُ: "أَدْنِيَا أَخَاكُمَا مِنِّي". فَنَاوَلَاهُ عَبْدَ اللَّهِ ذَا الْبِجَادَيْنِ ﷺ بِيَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَوَضَعَهُ بِيَدَيْهِ فِي الْقَبْرِ، ثُمَّ دَعَا: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَمْسَيْتُ رَاضِيًا عَنْهُ فَارْضَ عَنْهُ". يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: فَتَمَنَّيْتُ حِينَئِذٍ لَوْ أَنِّي أَنَا صَاحِبُ ذَلِكَ الْقَبْرِ. (السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ هِشَامٍ)

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ ذُو الْبِجَادَيْنِ ﷺ مِنْ بَنِي مُزَيْنَةَ. تُوُفِّيَ وَالِدُهُ وَهُوَ صَغِيرٌ، فَلَمْ يَرِثْ شَيْئًا. كَانَ عَمُّهُ غَنِيًّا فَكَفَلَهُ حَتَّى أَغْنَاهُ وقام بالتجارة معه. فَلَمَّا أَسْلَمَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ أَخَذَ عَمُّهُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى سَلَبَ إِزَارَهُ. فَجَاءَتْ أُمُّهُ فَشَقَّتْ رِدَاءَهَا نِصْفَيْنِ، فَاتَّزَرَ بِنِصْفٍ وَارْتَدَى بِالنِّصْفِ الْآخَرِ. ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَاضْطَجَعَ فِي الْمَسْجِدِ. ثُمَّ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصُّبْحَ. يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ يَنْظُرُ فِي وُجُوهِ النَّاسِ هَلْ جَاءَ أَحَدٌ جَدِيدٌ؟ فَنَظَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَغْرَبَهُ، فَسَأَلَهُ: "مَنْ أَنْتَ؟" فَأَخْبَرَهُ بِنَسَبِهِ. وفِي رِوَايَةٍ: قَالَ: أَنَا عَبْدُ الْعُزَّى.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "بَلْ أَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ ذُو الْبِجَادَيْنِ". ثُمَّ قَالَ: "الْزَمْنِي". فَكَانَ فِي ضِيَافَةِ النَّبِيِّ ﷺ يُعَلِّمُهُ الْقُرْآنَ حَتَّى حَفِظَ كَثِيرًا مِنْهُ. فَلَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى تَبُوكَ قَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ لِي بِالشَّهَادَةِ". فَدَعَا: "اللَّهُمَّ حَرِّمْ دَمَهُ عَلَى الْكُفَّارِ". قَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَيْسَ ذَلِكَ مَقْصُودِي". فَقَالَ ﷺ: "إِنْ خَرَجْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَصَابَكَ حُمَّى فَمُتَّ فَأَنْتَ شَهِيدٌ، أَوْ وَقَصَتْكَ[٥] دَابَّتُكَ فَانْقَطَعَتْ عُنُقُكَ فَأَنْتَ شَهِيدٌ، لَا تَبَالِ بِأَيِّ وَجْهٍ جَاءَتْكَ الشَّهَادَةُ". فَتُوُفِّيَ بَعْدَ أَيَّامٍ مِنْ وُصُولِ تَبُوكَ. (انظروا: سُبُلِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ)

وفي أثناء هذا السفر ذُكرت أيضا صَلَاةُ الْجَنَازَةِ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْمُزَنِيِّ ﷺ. يَرْوِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَبُوكَ فَجَاءَ جِبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مُعَاوِيَةَ الْمُزَنِيَّ قَدْ مَاتَ بِالْمَدِينَةِ، صَلِّ عَلَيْهِ". ثُمَّ رُفِعَ سَرِيرُهُ (بِكَشْفٍ) فِي الْهَوَاءِ حَتَّى أَتَى بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ، فَصَلَّى عَلَيْهِ وَصُفُوفُ الْمَلَائِكَةِ أَمَامَهُ. (انظر سُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَادِ)

سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ جِبْرِيلَ: "بِمَ بَلَغَ هَذَا الْمَقَامَ؟" فَقَالَ: "بِحُبِّهِ لِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، كَانَ يَقْرَؤُهَا قَائِمًا وَقَاعِدًا وَرَاكِبًا وَمَاشِيًا فِي كُلِّ حَالٍ". (أسد الْغَابَةِ)

وقد ذُكر في وقائع تبوك أن اسْتَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّحَابَةَ فِي التَّقَدُّمِ. فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كُنْتَ مَأْمُورًا بِالْمَسِيرِ فَسِرْ". فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَوْ كُنْتُ مَأْمُورًا بِالْمَسِيرِ مَا اسْتَشَرْتُكُمْ". فَقَالَ عُمَرُ: "يَا

---

[٥] الوقص: كسر في العنق أو أعلى الرقبة.

رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَهْلَ الرُّومِ لَهُمْ عَدَدٌ كَثِيرٌ وَلَيْسَ فِيهِمْ مُسْلِمٌ وَاحِدٌ، وَقَدْ أَتَيْنَا قَرِيبًا مِنْهُمْ، وَقَدْ أَوْجَسُوا مِنْ قُرْبِكَ، فَارْجِعْ هَذَا الْعَامَ حَتَّى يَكُونَ رَأْيٌ أَوْ يُحْدِثَ اللَّهُ أَمْرًا". (سُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَادِ)

وبعد سماع هذا الكلام أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَبُوكَ عِشْرِينَ يَوْمًا. وَفِي قَوْلٍ آخَرَ: أقام أَقَلَّ مِنْ عِشْرِينَ يَوْمًا.

قد وُفِّق بين هاتين الروايتين المختلفتين؛ ففي القول الذي يذكر العشرين قد أُدخِل فيه يومان: يوم الوصول إلى تبوك ويوم شدّ الرحال منها، بينما لم يُحتسب هذان اليومان في القول الآخر.

وقد استغرق السفر من مغادرة المدينة إلى الرجوع إليها شهرين أو أكثر. فعلى ما ذكره ابن سعد، خرج رسول الله ﷺ لهذه الغزوة في رجب من السنة التاسعة للهجرة، ورجع إلى المدينة في رمضان من نفس السنة، وبين هذين الشهرين شهر شعبان. وبهذا كان رسول الله ﷺ خارج المدينة لشهرين أو ما يزيد عن ذلك. والله أعلم.

وقد أوضح هذا حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه أيضًا، حيث ذكر أنه لما وصل رسول الله ﷺ قريبًا من منطقة تبوك، أرسل رجالًا في مناطق قريبة ليتحققوا من واقع الأمر، فعادوا جميعًا بخبر واحد أن لا يوجد جيش شامي يتجمع في هذا الوقت. وكان عمر رضي الله عنه قد قال الشيء نفسه أن لا أحد قادم للقتال وبعض المناطق المحيطة ما زالت خائفة، فما الحاجة إذا إلى القتال؟ فمكث رسول الله ﷺ هناك بضعة أيام، وعقد معاهدات مع بعض القبائل القريبة، ثم عاد دون قتال. وكان مجموع هذه الرحلة نحو شهرين أو شهرين ونصف.

أما ذكر التفصيل والتوضيح لرحلة العودة إلى المدينة فسوف يأتي لاحقا إن شاء الله.

لقد ذكرتُ سابقًا ضرورة الدعاء لبنجلاديش. تُثير طبقةُ المشايخ والطبقةُ المعاديةُ للأحمدية هناك الكثيرَ من الضجيج، ولهم غدًا فيما يبدو جلسة أيضًا، فادعوا للأحمديين خصوصًا أن يحفظ الله تعالى كل أحمدي ويحفظهم من شرهم. وكذلك ادعوا لأحمديي باكستان أن يحفظهم الله تعالى، بل هناك حاجةٌ متزايدة إلى الدعاء. فكلما ضُيِّق على المعارضين بأي شكل، حتى وإن كان قانونيًا، تكون نتيجة ذلك أن يقع الضغط على الأحمديين، ولهذا ينبغي للأحمديين أن يكثروا من الدعاء وأن يكونوا على حذر.

وكذلك ادعوا للفلسطينيين؛ فمع وجود الاتفاقيات ووجود وقف إطلاق النار، ما زال القتل مستمرًا هناك. نسأل الله تعالى الرحمة. وادعوا أيضًا لأحمديي أفريقيا؛ فبعض الحكومات هناك تمارس الظلم عليهم، وفي بعض الأماكن تقوم الجماعات الإرهابية بهجمات متفرقة، وقد يتضرر منها الأحمديون أحيانًا. نسأل الله تعالى أن يُقيم السلام والأمن في العالم كله.

وبعد الصلوات سأؤدي صلاةَ جنازة الغائب على المرحوم محمد حسين بن محمد إسماعيل من ربوة الذي تُوفي قبل أيام عن عمر ناهز الثمانين عامًا. إنا لله وإنا إليه راجعون.

كان المرحوم من الموصين وقد أدّى حصّة الوصيّة من التركة في حياته. ويشمل ذوو الفقيد، إلى جانب زوجته، وثلاث بنات وأربعة أبناء. ابنه السيد محمد عمران هو مبلغ السلسلة في النيجر بغرب أفريقيا، يحظى هناك بخدمة الدين. لوجوده في ميدان العمل لم يتمكّن من المشاركة في جنازة والده. وكذلك له ابن آخر من الواقفين حياتهم وهو السيد محمد لقمان الذي هو معلّم السلسلة.

وقد دخلت الأحمديةُ عائلتهم سنة ١٩٥٦م عن طريق والدِه السيد محمد إسماعيل، ثم انتقلوا بعد ذلك بعامين إلى ربوة. وكان المرحوم بنفسه مواظبًا على الصوم والصلاة، منتظمًا في تلاوة القرآن الكريم، قائمًا لصلاة التَّهجّد، رجلاً صالحًا مخلصًا كثير الدعاء.

ويكتب معلم السلسلة، السيد محسن طيب، قائلاً: لقد أتيحت لي فرصة الخدمة في محلّته لمدة خمس سنوات، وكان مما تميز به هو حرصُه الكبير على التضحية المالية؛ فحينما يبدأ العام الجديد كان يسعى لأن يكون أول إيصال لأي صندوق تبرع باسمه. وأحيانًا كان يبادر بدفع المال قبل صدور الإعلان، وكذلك في نهاية العام حين يُطلب دفعُ تبرعات إضافية، كان يؤدي المزيد حسب توفيقه.

نسأل الله تعالى أن يعاملَه بالمغفرة والرحمة، وأن يرزق ذويه الصبر والسلوان، وخاصة أبناءه المقيمين خارج البلد. ونسأل الله تعالى أن يمنحهم الصبر والثبات، وأن يوفّقهم لِمواصلة أعماله الصالحة.

*****